

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۖ

سورة التين : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ۝

بعده من النعم وشرح صدره صلى الله عليه وسلم هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة ، وقيل هو شق جبريل لصدره في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله (ووضعنا عنك وزرك) فيه ثلاثة أقوال : الأول قول الجمهور أن الوزر الذنوب ووضعها هو غفرانها فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة الثاني أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة الثالث أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأت من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة (الذي أنقض ظهرك) عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه قال الحارث المحاسبى : إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهى صغائر مغفورة لهم لهم بها وتحسرهم عليها فهى ثقيلة عندهم لشدّة خوفهم من الله ، وهى خفيفة عند الله وهذا كما جاء فى الآثار إن المؤمن يرى ذنوبه كالجلجل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه . واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهوره نقيض كتنقيض ما يحمل عليه شئ ثقيل (ورفعنا لك ذكرك) أى نوهنا باسمك وجعلناه شهيراً فى المشارق والمغارب وقيل معناه اقتران ذكره بذكر الله فى الأذان والخطب والشهد وفى مواضع من القرآن ، وقد روى فى هذا حديث أن الله قال له : إذا ذكرت ذكرت معى فإن قيل لم قال لك ذكرك ولك صدرك مع أن المعنى مستقل دون ذلك ؟ فالجواب أن قوله لك يدل على الاعتبار به والاهتمام بأمره (فإن مع العسر يسراً) هذا وعد لما يسر بعد العسر وإنما ذكره بلفظ مع التى تقتضى المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر فإن قيل ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله ؟ فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم كان بمكة هو وأصحابه فى عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسليّة وتأنيساً لتطبيب نفسه ويقوى رجاءه كأنه يقول إن الذى أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهر لك ويدل لك هذا العسر بيسر قريب ولذلك كرر إن مع العسر يسراً مبالغة وقال صلى الله عليه وسلم إن يغلب عسر يسرين وقد روى ذلك عن عمرو بن مسعود وتأويله أن العسر المذكور فى هذه السورة واحد ، لأن الألف اللام للعهد كقولك جاءنى رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتسكيره وقيل : إن اليسر الأول فى الدنيا والثانى فى الآخرة (فإذا فرغت فانصب) هو من النصب بمعنى التعب والمعنى إذا فرغت من أمر فاجتهد فى آخر ثم اختلف فى تعيين الأمرين فقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب فى النوافل وقيل إذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء وقيل إذا فرغت من شغل دنياك فانصب فى عبادة ربك (وإلى ربك فارغب) قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أى لا ترغب إلا إلى ربك وحده

سورة التين

(والتين والزيتون) فيها قولان : الأول أنه التين الذى يؤكل والزيتون الذى يعصر أقسم الله بهما لفصيلتهما

فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۚ
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۚ

على سائر الثمار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل مع أصحابه تيناً فقال لوقلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فذكره فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال صلى الله عليه وسلم نعم السواك الزيتون فإنه من الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي . القول الثاني أهمها موضعان ثم اختلف فيهما ف قيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق يثبت فيه التين والآخر بإبيلياء يثبت فيه الزيتون فكأنه قال ومنابت التين والزيتون ، وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ، وقبل التين مسجد نوح والزيتون مسجد إبراهيم والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى والبلد الذي بعث منه محمد صلى الله عليه وسلم فتكون الآية نظير ما في التوراة أن الله تعالى جاء من طور سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى وظهر من جبال باران وهي مكة وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين (وطور سينين) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بالشام وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصنمة ، وقيل معناه ذو الشجر واحدها سينه قاله الأخفش وقال الزمخشري ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكور بالواو والياء وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب (وهذا البلد الأمين) هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله اجعل هذا بلداً آمناً (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) فيه قولان : أحدهما أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكال العقل والشباب والقوة وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى ومن نعمه نكسه في الخلق وقوله وجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة وقوله إلا الذين آمنوا بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن لأنه خارج عن معنى الكلام الأول . والآخر أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين (غير ممنون) قد ذكر (فما يكذبك بعد بالدين) فيه قولان : أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والدين شريعته والمعنى أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك والآخر أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الآخروي ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذباً لأن من أنكر الحق فهو كاذب والمعنى أي شيء يجعلك كاذباً بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلا شيء تكذب بالبعث والجزاء (أليس الله بأحكم الحاكمين) تقرير ووعد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

سورة العلق : مكية وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ

سورة العلق

(نزل صدرها بغار حراء ، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب (اقرأ باسم ربك) فيه وجهان : أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحا فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا والوجه الثاني أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء (الذي خلق) حذف المفعول لفصد العموم كأنه قال الذي خلق كل شيء ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبير ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قال «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان» ثم فسره بقوله (خلق الإنسان من علق) والعلق جمع علقه ، وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم ، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله «فإنا خلقناكم من نطفة» ثم من علقه ، لأنه أراد كل واحد على حدته ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقه وإنما خلق من طين (اقرأ وربك الأكرم) كرر الأمر بالقراءة تأكيدا والواو للحال والمقصود تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يقول افعل ما أمرت به فإن ربك كريم وصيغة أفعل للبالغة (الذي علم بالقلم) هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة ، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا ، وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (علم الإنسان ما لم يعلم) يحتمل أن يريد بهذا التعظيم لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق ، وقيل إن الإنسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم (كلا إن الإنسان ليطغى) نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة ، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله وبيالغ في عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلا هنا يحتمل أن تكون زجرا لأبي جهل أو بمعنى حقاً أو استفتاحاً (أن رآه استغنى) في موضع المفعول من أجله أي يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل في الضمير ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب والمعنى رأى نفسه استغنى واستغنى هو المفعول الثاني (إن إلى ربك الرجعى) هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى) اتفق المنسرون أن العبد الذي صلى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الذي نهاه أبو جهل لعنه الله وسبب الآية أن أبا جهل جاء إلي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي في المسجد الحرام فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة وروى أنه قال ائن رأيت يصلي لأطأن عنقه فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوباً

إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۖ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۖ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۖ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۖ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَنَجْجِدُ وَاقْتَرَبَ ۖ

فَقِيلَ لَهُ مَا هَذَا فَقَالَ لَقَدْ اعترض بيني وبينه خندق من نار و هول وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لا اختطفته الملائكة عضوا عضوا (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى) أرأيت في الموضع الذي قبله والذي بعده بمعنى أخبرني فكأنه سؤال يفترق إلى جواب وفيها معنى التعجيب والتوقيف والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين وهي تتعدى إلى مفعولين وجاءت بعدها إن الشرطية في موضعين وهما قوله إن كان على الهدى وقوله إن كذب وتولى فيحتاج إلى الكلام في مفعولي أرأيت في الموضع الثلاثة وفي جواب الشرطين وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال وهي إن كان على الهدى وأمر بالتقوى وكذب وتولى على من تعرد هذه الضمائر فقال الزمخشري إن قوله الذي ينهى هو المفعول الأول لقوله أرأيت الأولى وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لا تحتاج إلى مفعول وإن قوله ألم يعلم بأن الله يرى هو جواب قوله إن كذب وتولى فهو في المعنى جواب للشرطين معاً وأن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى الذي ينهى عن الصلاة وهو أبو جهل وكذلك الضمير في قوله إن كذب وتولى وتقدير الكلام على هذا أخبرني عن الذي ينهى عبداً إذا صلى إن كان هذا الناهي على الهدى أو كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداة وضلالة وتسكينه ونهيته عن الصلاة وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه ، وخالفه ابن عطية في الضمائر فقال إن الضمير في قوله إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى للعبد الذي صلى وأن الضمير في قوله إن كذب وتولى للذي ينهى عن الصلاة وخالفه أيضا في جعله أرأيت الثانية مكررة للتأكيد وقال إنها في المواضع الثلاثة ترقيف وأن جوابه في المواضع الثلاثة قوله ألم يعلم بأن الله يرى فإنه يصلح مع كل واحد منها ، ولكنه جاء في آخر الكلام اختصارا وخالفهما أيضا الغزنوي في الجواب فقال إن جواب قوله إن كان على الهدى محذوف فقال إن تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب ، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى وفاقا لابن عطية (لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) أوعد أبو جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار ، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله دفيؤخذ بالنواصي والأقدام ، والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء وقيل هو الإحراق من قولك سفعته النار وأكد لنسفعا باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالآلاف مراعاة للوقف ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فخر إلى القلب (ناصية كاذبة خاطئة) أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزا والكاذب الخاطيء في الحقيقة صاحبها والخاطيء الذي يفعل الذنب متعمدا والخطيء الذي يفعله بغير قصد (فليدع ناديه) النادي والندى المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال أيتوعدني محمد فوالله ما بالوادي أعظم ناديا مني فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له ، والمعنى فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية في اللغة الشرط واحد هم زبانية وقيل زبني وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا

سورة القدر : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا يَأْذُنُ رَبَّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

(واستجود واقترب) أي تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهدوا في الدعاء وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود

سورة القدر

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً وهي أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالي الأوتار ليلة ثلاثين لأنها الأولى وليلة ثمان وعشرين لأنها الثانية وليلة ستة وعشرين لأنها الخامسة وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة فهذه خمسة أقوال آخر فذلك عشرة أقوال والقول الحادي عشر أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه . الثاني عشر أنها مخفية في رمضان كله وهذا ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم التمسوها في العشر الأواخر . الثالث عشر أنها مخفية في العام كله . الرابع عشر أنها ليلة النصف من شعبان وهذا القول باطل لأن الله تعالى قال إنا أنزلناه في ليلة القدر وقال شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان . القول الخامس عشر أنها رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ضعيف . القول السادس عشر أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان أول ليلة ثلاث وعشرين أو ليلة سبع وعشرين فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين (إنا أنزلناه في ليلة القدر) الضمير في أنزلناه للقرآن دل على ذلك سياق الكلام وفي ذلك تمظيم للقرآن من ثلاثة أوجه : أحدها أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته ، والثاني أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات والثالث أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان أحدهما أنه ابتداء لإنزاله فيها والآخر أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف ويترجح الأول بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم (وما أدراك ما ليلة القدر) هذا تعظيم لها قال بعضهم كل ما قال فيه ما أدراك فقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم وما قال فيه ما يدريك فإنه لا يعلمه (ليلة القدر خير من ألف شهر) معناه أن من قامها كتب الله له أجر العباداة في ألف شهر قال بعضهم يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً ممن تقدم عبد الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيراً من العباداة في تلك المدة الطويلة

سورة البينة مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ ۚ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۚ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

وروى أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى في المنام بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة وأعلمه أنهم يمسكون أمر الناس ألف شهر فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهى خير من ملك بنى أمية ألف شهر ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية بالمشرق ألف شهر (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) الروح هنا جبريل عليه السلام وقيل صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة وتنزلهم هو إلى الأرض ، وقيل إلى السماء الدنيا وهو تعظيم ليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها (من كل أمر) هذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضى الله فى ذلك العام فإنه روى أن الله يعلم الملائكة بكل ما يسكون فى ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمثلوا ذلك فى العام كله ، وقيل على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أى ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف وقيل إن المجرور يتعلق بعده والمعنى أنها سلام من كل أمر أى سلامة من الآفات قال مجاهد لا يصيب أحد فيها داء والأظهر أن الكلام تم عند قوله من كل أمر ثم ابتداء قوله سلام هى واختلف فى معنى سلام فقيل إنه من السلامة وقيل إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها وكذلك اختلف فى إعرابه فقيل سلام هى مبتدأ وخبر وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه وقيل سلام خبر مبتدأ مضمر تقديره أمرها سلام أو القول فيها سلام وهى مبتدأ خبره حتى مطلع الفجر أى هى دائمة إلى طلوع الفجر ويختلف الوقف باختلاف الأعراب وقال ابن عباس إن قوله هى إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هى السابعة والعشرين من كلمات السورة

سورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيتهم البينة وتقوم عليهم الحجة يبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى منفكين منفصلين ثم اختلف فى هذا الانفصال على أربعة أقوال : أحدها أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيتهم البينة لتقوم عليهم الحجة . الثانى لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بعثه الله . الثالث اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة الرابع وهو الأظهر عندى أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فلما بعثه الله لم يبق لهم عذرا ولا حجة فنفسكين على هذا كقولك لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا (رسول من الله) يعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وإعرابه بدل من البينة أو خبر ابتداء مضمر (يتلوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً) يعنى

بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۚ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۚ

القرآن في صحفه (فيها كتب قيمة) أى قيمة بالحق مستقيمة المعانى ووزن قيمة فيعلة وفيه مبالغة قال ابن عطية هذا
على حذف مضاف تقديره فيها أحكام كتب ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتاب بمعنى المكتوبات (وما
تفرق الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أى ما اختلفوا في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا من
بعد ما علموا أنه حق ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وإنما
نخص الذين أتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة
سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما يجدون في كتبهم من ذكره (وما أمروا) الآية : معناها : ما أمروا
في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة
الله فلاى شىء ينكرونه ويكفرون به (مخلصين له الدين) استدلال المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء
وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد
وفي الأعمال وهذا الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلى وهذا الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفى
وهو الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء شرك الأصغر وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن
ربه إنه تعالى يقول «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشريكه» وأعلم
أن الأعمال ثلاثة أنواع مأمورات ومنهيات ومباحات فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص
النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول وإن كانت النية لغير وجه
الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك فالعمل رياء محض مردود وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك
تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدها ولم يكن له أجر في تركها وإن
تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبهه
ذلك فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر فإن كل مباح يمكن أن يصير قرينة
إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالآكل القوة على العبادة ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام (حنفاء) جمع حنيف وقد
ذكر (وذلك دين القيمة) تقديره الملة القيمة أو الجماعة القيمة وقد فسرنا القيمة ومعناه أن الذى أمروا به من عبادة الله
والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلاى شىء لا يدخلون فيه (البرية) الخلق لأن الله برأهم
وأوجدهم بعد العدم وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالاً عند
العرب (رضى الله عنهم ورضوا عنه) اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة فراضهم عن الله في الدنيا هو
الرضا بقضائه والرضا بدينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا
وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا ، وراضهم عنه في الآخرة : وراضهم بما أعطاهم الله فيها ، أورشوا الله عنهم

سورة الزلزلة : مدنية وآياتها ٨ نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بَأْسَ رَبِّكِ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لَّيْرًا أَعْمَلَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ *

لما ورد في الحديث أن الله يقول يا أهل الجنة هل تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون يا ربنا وأي شيء نريد وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول عندي أفضل من ذلك وهو رضوانى فلا أسخط عليكم أبداً (ذلك لمن خشى ربه) أى لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الله رأس كل حكمة (سورة الزلزلة) (إذا زلزلت الأرض) أى حركت واهتزت (زلزالها) مصدر وإنما أضيف إليها تهويلاً كأنه يقول الزلزلة التى تليق بها على عظم جرمها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعنى الموتى الذين فى جوفها وذلك عند النفخة الثانية فى الصور وقيل هى الكونوز وهذا ضعيف لأن إخراجها للكونوز وقت الدجال (وقال الإنسان ما لها) أى يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة لأنه الذى يرى حينئذ ما لا يظن (يومئذ تحدث أخبارها) هذه عبارة عما يحدث فيها من الأهوال فهو مجاز وحديث بلسان الحال وقيل هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة وتحدث يتعدى إلى مفعولين حذف المفعول منهما والتقدير تحدث الخلق أخبارها وانتزع بعض المحدثين من قوله تحدث أخبارها أن قول المحدث حدثنا وأخبرنا سواء وهذه الجملة هى جواب إذا زلزلت وتحدث هو العامل فى إذا ويومئذ بدل من إذا ويجوز أن يكون العامل فى إذا مضمر وتحدث عامل فى يومئذ (بأن ربك أوحى لها) الباء سببية متعلقة بتحدث أى تحدث بسبب أن الله أوحى لها ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلا من إخبارها وهذا كما تقول حدثت كذا وحدثت بكذا والمعنى على هذا تحدث بحديث الوحي لها وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة ولها معنى إليها ، وقيل معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) معنى أشتاتا مختلفين فى أحوالهم وواحد الأشتات شت وصد الناس هو انصرافهم من موضع وردهم فقيس الورد هو الدفن فى القبور والصد هو القيام للبعث وقيل الورد القيام للحشر والصد انصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) المثلقال هو الوزن والذرة هى النملة الصغيرة ، والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هى عبارة عن الجزاء وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال من يعمل قليلا أو كثيرا وهذه الآية هى فى المؤمنين لأن الكافر لا يجازى فى الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن فى النار لأنه إذا خلد لم يرتبها على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات ، وروى عن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها فى ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة ، وسمع رجلا هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسبي الله لا أبالى أن أسمع غيرها (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) هذا على عمومته فى حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بسنة شروط: وهى أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح فى الميزان منها وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممن استحق

سورة العاديات : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ أَفَلَا يَعْلَمُ
إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝

المغفرة بعمل كامل بدرو أن لا يعفو الله عنهم فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له
(سورة العاديات) اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل وعلى القول بأنها الخيل
اختلف هل يعنى خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق وعلى القول بأنها الإبل اختلف هل يعنى إبل غزوة بدر أو إبل
المجاهدين مطلقاً أو إبل الحجاج أو الإبل على الإطلاق ومعنى العاديات التى تعدو فى مشيها ، والضبح هو تصويت
جهير عند العدو الشديد ليس بصهاى وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحاً أو هو مصدر فى موضع الحال
تقديره العاديات فى حال ضبحها ، والموريات من قولك أوريت النار إذا أوقدتها والقدح هو صك الحجارة فيخرج
منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل وإعراب قدحا كإعراب صبحا والمغيرات من
قولك أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء وصبحاظرف زمان لأن عادة أهل الغارة فى الأكثر أن
يخرجوا فى الصباح (فأثرن به نقعا) هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لأنه فى تقدير التى تعدو والنقع الغبار
والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو المكان الذى يقتضيه المعنى فالباء أيضاً ظرفية
أو للعدو وهو المصدر الذى يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل
أى حركن الغبار عند مشيهم (فوسطن به جمعا) معنى وسطن توسطن وجمعا اختلف هل المراد به جمع من
الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو المكان أو للعدو أو للنقع (إن الإنسان لربه
لكنود) هذا جواب القسم والكنود الكفور للنعمة فالتقدير إن الإنسان لنعمة ربه لكفور والإنسان
جنس ، وقيل الكنود العاصى وقال بعض الصوفية الكنود هو الذى يعبد الله على عوض (وإنه على ذلك
لشاهد) الضمير للإنسان أى هو شاهد على نفسه بكنوده وقيل هو الله تعالى على معنى التهديد والاول أرجح
لأن الضمير الذى بعده الإنسان باتفاق فيجرى الكلام على نسق واحد (وإنه لحب الخير لشديد) الخير هنا
المال كقوله إن ترك خيرا والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه وقيل الشديد
البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والاول أظهر (إذا بعثر ما فى القبور) أى بحث عند
ذلك عبارة عن البعث (وحصل ما فى الصدور) أى جمع ما فى الصحف وأظهر محصلا أو ميز خيره من شره
(إن ربهم بهم يومئذ لخبير) الضمير فى ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفى هذه الجملة
وجهان : أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن وليكنها كسرت من أجل اللام
التي فى خبرها والثانى أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود
على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما فى القبور وهذا هو الذى قاله ابن عطية
ويحتمل عندى أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال

سورة القارعة : مكية وآياتها ١١ نزلت بعد قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ * فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ *

الإنسان إذا بعث ما في القبور ثم استأنف قوله إن ربه بهم بهم يومئذ خير على وجه التأكيد أو البيان للبعث المنتقم والعامل في إذا بعث على هذا الوجه هو أفلا يعلم والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية والعامل في يومئذ خير وإنما خص ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خير على الإطلاق

((سورة القارعة)) (القارعة) من أسماء القيامة لأنها تفرع القلوب بهولها وقيل هي النفخة في الصور لأنها تفرع الأسماع (ما القارعة) مبتدأ وخبر في موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك وما أدراك ما القارعة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) العامل في الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره تفرع في يوم والفراش هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذللتهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح قال بعض العلماء الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث لأنهم يجهلون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة ، وقيل الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن هو الصوف ، وقيل الصوف الأحمر وقيل الصوف الملون ألوانا شبه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير لينة ، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال لأن منها بيضاء وحمرًا وسوداء (من ثقلت موازينه) هو جمع ميزان أو جمع موازن وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور ، وقال قوم هو عبارة عن العدل (في عيشة راضية) معناه ذات رضا عند سيئويه : وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفها بقلتها ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة لأن الإيمان يوزن فيه (فأمة هابية) فيه ثلاثة أفعال : أحدها أن الهاوية جهنم سميت بذلك لأن الناس يهونون فيها أي يسقطون وأمه معناه مأواه كقولك المدينة أم فلان أي مسكنه على التشبيه بالآم الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه . الثاني أن الآم هي الوالدة ، وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاكه كقولك أمه تكلى إذا هلك : الثالث أن المعنى أم رأسه هابية في جهنم أي ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسا ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل لا أم لك فقال يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول لي لا أم لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أردت لا نار لك قال الله تعالى «فأمة هابية» وهذا يؤيد القول الأول (وما أدراك ما هي) الهاء للسكت والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعل والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث والمقصود تعظيمها ثم فسرهما بقوله (نار حامية)

سورة التكاثر : مكية وآياتها ٨ نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ اَلْهٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتّٰٓى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ ۝ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيْمَ ۝

سورة العصر : مكية وآياتها ٣ نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْعَصْرِ ۝ اِنَّ الْاِنْسَانَ لِرَبِّهِٗ لَكٰۤفِرٌ ۝ اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَّصَوْا

﴿سورة التكاثر﴾ (أهاكم التكاثر) هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى أهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول ابن آدم مالى مالى وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأَمْضيت (حتى زرتهم المقابر) فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها . الثانى أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين فى المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بأبائهم الموتى فالمعنى أهاكم التكاثر حتى بلغتكم فيه إلى ذكر الموتى : الثالث أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليظهر ذكره ويعظم قدره (كلا سوف تعلمون) زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثانى أعظم من الأول ، وقيل الأول تهديد للكفار والثانى تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحل بكم ، أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ فى اشتغالكم بالدنيا ، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون لازدجرتهم واستعددتهم للآخرة فينبغى الوقف على اليقين ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين العلم الذى لا يشك فيه قال بعضهم هو من إضافة الشئ إلى نفسه كقوله دار الآخرة وقال الزمخشري معناه علم الأمور التى تيقنونها بالمشاهدة (لترون الجحيم) هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره : لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم والخطاب لجميع الناس فهو كقوله وإن منكم إلا واردة وقيل للكفار خاصة فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها (ثم لترونها عين اليقين) هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بثم للتهويل والتفخيم والعين هنا من قولك عين الشئ نفسه وذاته أى لترونها الرؤية التى هى نفس اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) هذا إخبار بالسؤال فى الآخرة عن نعيم الدنيا فقيل النعيم الأمن والصحة وقيل الطعام والشراب وهذه أمثلة والصواب العموم فى كل ما يئله به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت يكتنك وخرقة تواريك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم وقال صلى الله عليه وسلم كل نعيم فستول عنه إلا نعيم فى سبيل الله ، وأكل صلى الله عليه وسلم يوما مع أصحابه رطباً وشربوا عليه ماء فقال لهم هذا من النعيم الذى تسألون عنه

﴿سورة العصر﴾ (والعصر) فيه ثلاثة أقوال : الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تقوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله : الثانى أنه العشى أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيد

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

سورة الهمزة : مكية وآياتها ٩ نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝
كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَتَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ
مُؤَصَّدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝

سورة الفيل : مكية وآياتها ٥ نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ

هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال أقسم ربكم بآخر النهار : والثالث أنه الزمان (إن الانسان لفي خسر) الانسان جنس ولذلك استثنى منه الذين آمنوا فهو استثناء متصل (وتواصوا بالحق) أى وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر فالحق هو الاسلام وما يتضمنه وفيه إشارة إلى كذب الكفار وفى الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة

﴿سورة الهمزة﴾ (ويل لكل همزة لمزة) هو على الجملة الذى يعيب الناس ويأكل أعراضهم واشتقاقه من الهمز واللمز وصيغة فعلة للمبالغة واختلف فى الفرق بين الكلمتين فقليل الهمز فى الحضور واللمز فى الغيبة وقيل بالعكس وقيل الهمز باليد والعين واللمز باللسان ، وقيل : هما سواء ونزلت السورة فى الأخنس بن شريق لأنه كان كثير الوقعة فى الناس وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة ولفظها مع ذلك على العموم فى كل من اتصف بهذه الصفات (وعدده) أى أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فنه من الخيرات ، وقيل معناه استعدته وادخره عدة لحوادث الدهر (أيحسب أن ماله أخلده) أى يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده فى الدنيا وقيل يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد (كلا) رد عليه فيما ظنه (لينبذن فى الحطمة) هذا جواب قسم محذوف والحطمة هى جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهمه وقد عظمها بقوله وما أدراك ثم فسرهما بأنها (نار الله الموقدة التى تطلع على الآفنة) أى تباغ القلوب بإحراقها قال ابن عطية يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما فى القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها (مؤصدة) مغلقة (فى عمد ممددة) العمدة جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع ، وقرئ عمد بضمعين ، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب والممددة الطويلة ، وفى المعنى قولان : أحدهما أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا فى الإغلاق والثقاف كما تنقف أبواب البيوت بالعمد وهو على هذا متعلق بمؤصدة ، والآخر أنهم موثوقون مغلولون فى العمدة فالمجرور على هذا فى موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره هم موثوقون فى عمد

﴿سورة الفيل﴾ نزلت هذه السورة منبهة على العبرة فى قصة الفيل التى وقعت فى عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على كرامة الله للسكبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه ، وقد ذكرت القصة فى كتب السير وغيرها